الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

المؤثرات الأجنبية في شعر أبي نواس

مذكّرة مقدمة استكمالا لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص أدب عربي

إعداد الطالب:
* بـــوحـــلـــي منـــيـــر

إشراف الأستاذة:
* بـــونـــشـــادة نـــبـــيلة

السّنة الجامعية:2013/2012

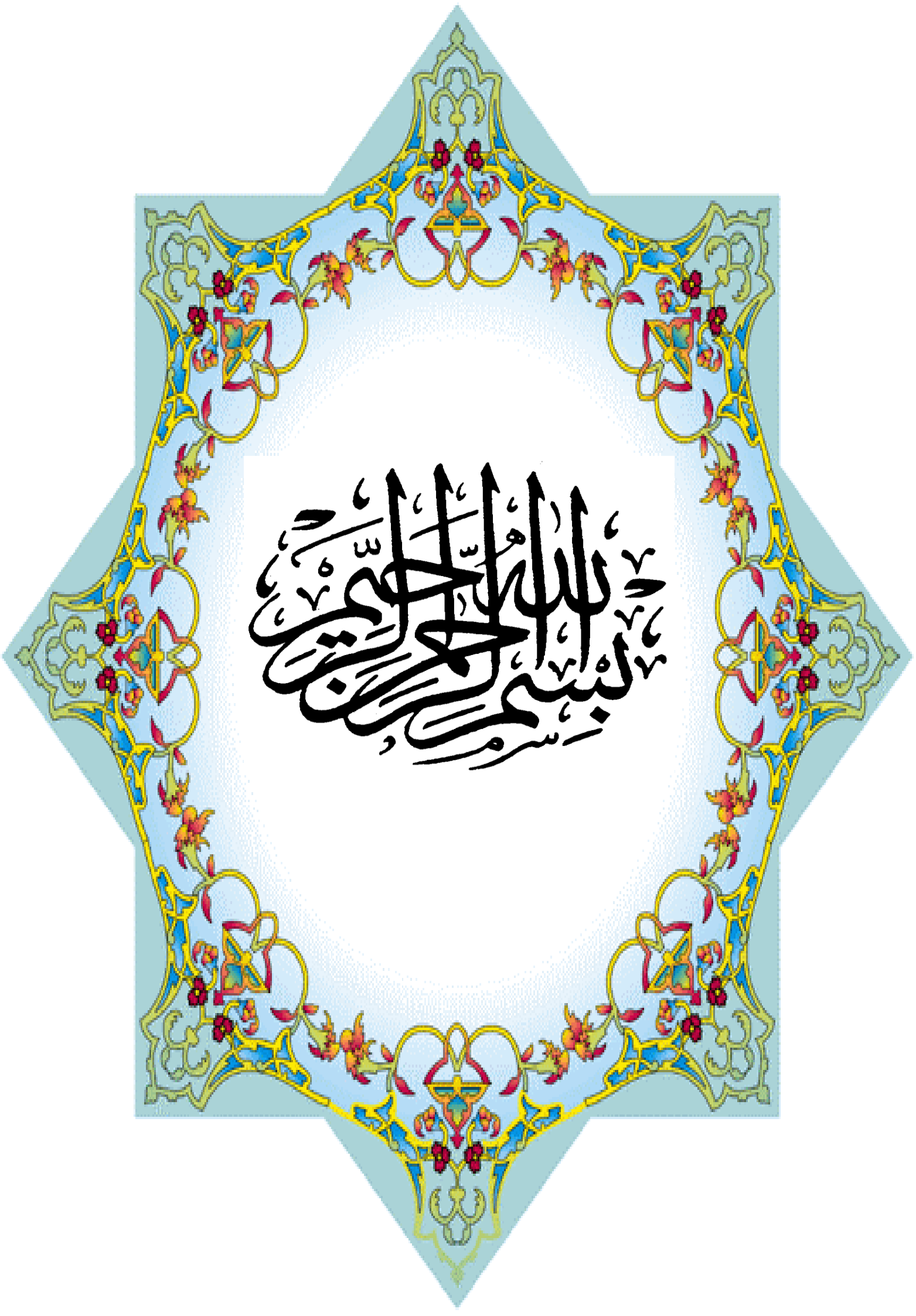
بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــــــــــــاء

اللهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا فشلت،

وذكرني دائما أن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح،

اللـهم إذا أعطيتني علما فلا تفقدني تواضعي،

وإذا أعطيتني تواضعًا فلا تفقدني اعتزازي بكرامتي،

واجعلني من الذين إذا أعطوا شكروا و إذا أذنبوا استغفروا

وإذا أذوا فيك صبروا ، و إذا تقلبت بهم الأيام اعتبروا

آمين يا رب العالمين.

إهداء

اهدي هذه المذكرة إلى عائلتي " **أبـــي، أمـــي، إخوتي**

والكتكوتة **قطر الندى**

الى زملائي وزميلاتي وجميع الأصدقاء بالمركز الجامعي طيلة خاصة

صديق، دلال، نجاة، عبد الباسط، وسام، راوية وطارق.

الى الزميلة التي قدمت لي يد العون لإتمام البحث

بســمــة

إلى أساتذتي خاصة أستاذتي المشرفة **بونشادة نبيلة.**

والاستاذ **بن ديب منير**

وبوعجاجة سليم وسعاد الوالي

إلى مشعل الأجيال الآتية

إلى شموع العلم القادمة

مـــنـــيـــــر

شكر و تقدير

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، و إن كتبت شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان؟ وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات؟ فما علي سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

- إلى أستاذتي المشرفة **بونشادة نبيلة** منبع المعرفة و السراج الذي أنارت دربي فكل الشكر والاحترام له.
- وإلى كل الأساتذة الذين سقوني من بحر المعرفة حتى وصلت إلى أعلى الدرجات.

- إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا اله الله اله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرض، ومالك يوم الدين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياء إلا في رضاه، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلح في القلب ولا فلاح إلا في الإخلاص له، وتوحيد حبه، الذي إذا أطيع شكر، وإذا عصي تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وإذا عومل أثاب.

والحمد لله الذي شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالالاهية جميع مصنوعاته، وشهدت بأنه الله لا اله إلا هو بما أودعها من عجائب صنعته، وبدائع آياته، وسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، ولا اله إلا هو وحده لا شريك له في إلهيته، كما لا شريك له في ربوبيته، ولا شبيه له في ذاته ولا في أفعاله، ولا في صفاته، والله اكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

واشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأمنه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيزه وتوقير محبته، والقيام بحقوقه، وسد دون صبته الطرق، فلن تفتح لاح دالا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين

تعد الشعوبية حركة هدمت جميع القيم السائدة، ولعل من جسد هذا الاتجاه في الشعر العربي هو أبو نواس.

ويعد التراث جزا لا يتجزأ من عقل هذه البشرية ووجدانها، مما جعله يحتل مكانة الذاكرة من الإمرة التي ينتمي إليها، فهي خلاصة ما تمتلكه من ماضي الفكر، وعبقريات أجيال مضت.

وهذه الأمة عبارة عن أجيال متعاقبة، فما ينفك يذهب جيل حتى يظهر جيل أخر بسمات جديدة ومظاهر متنوعة مختلفة عن سابقه، ومما لا ريب فيه أن الأزمات تكشف عن تياراتها الخفية وجذورها العريقة، وتكشف عن جوانب القوة والضعف في حياة هذه الأمة.

وقد ساورتني فكرة إلقاء نظرة على جانب من هذه الحياة عند أبي نواس حيث تناول عرضي المؤثرات الأجنبية عند أبي نواس.

واعتمدت في انجاز هذا البحث على منهج وصفي تحليلي وخطة سرت على منوالها تتكون من تمهيد يتضمن المؤثرات بصفة عامة وفي الفصل الأول وقفت على تعريف المؤثرات لغة واصطلاحا، وموازنة عامة عند أبي نواس، والتجديد في لغة شعر والأوزان والقوافي وفي الفصل الثاني تطرقت إلى أوجه التقليد والتي اخترت منها المدح والصيد ثم عرجت للحديث عن أوجه التجديد عند أبي نواس والمؤثرات التي أثرت على نفسيته وهي الشعوبية، والزندقة والمجون خمرياته وأوجه التجديد فيها.

وقد وجدت دراسات سابقة خاصة في مجال الشعوبية التي كانت بمثابة خطوة أولى لبداية هذا البحث للتمكن من الوصول إلى نتيجة تظهر مدى تأثر الشاعر بالثقافات الأخرى.

وكان من بين المصادر التي اعتمدتها بحثي هذا: ديوان أبي نواس لعلي فاعور، ولسان العرب لابن منظور، وتاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، وسلسلة تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، ورغم الصعاب التي واجهتني خلال انجاز هذا البحث من قلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع، وكذا اتساعه وشموليته، وعدم التمكن من حصره.

وبعد هذا الجهد والمثابرة والصبر في طلب العلم لا يسعني إلا أن احمد الله العلي العزيز واثني عليه بما يسر وهدي، كما يسعني أن اثني الثناء الجميل على الأستاذة المشرفة **بونشادة نبيلة** التي أشرفت على بحثي ووقوفها إلى جانبي بالتوجيه السديد، وعلى كل من ساعدني وكان عونا وسندا خاصة الأستاذ "**منير بن ذيب** " والأستاذ " **بوعجاجة سليم** " والأستاذة "سعاد الوالي" فلهم كل الشكر والعرفان.

الـفـصـل الأول

خاصية الشكل
عند ابي نواس

تمهيد:

يشهد العصر العباسي بوادر تغير كثيرة، وملامح حياة جديدة يميزها طابع الحضارة ومظاهر الترف والتأنق، والعمران الفاخر، وإغداق العطايا، وسخاء الملوك، كما تميز بخطوة العلماء والمغنين، والشعراء والأدباء، وكانت لهم مكانة خاصة في البلاط العباسي الذي شهد منذ انتقال الحكم من الأمويين إلى بني العباس تغييرات جذرية مست جميع نواحي الحياة في العصر كما كان تأثير الفرس، واليونان، والروم والترك وغيرها كبيرا في شتى الميادين؛ تغلغلت في الوسط العباسي سواء في الحياة العامة أو الفكرية والأدبية وكانت مظاهر تأثر العرب بهذه الثقافات بارزا جدا وترجم هذا التأثر في أشعارهم ومواضيعهم الأدبية ودواوينهم المختلفة، وانتشرت بسرعة حتى أصبحت تهدد العنصر العربي وتحط من شانه وقيمته عبر حركات معادية لهم كالشعوبية و الأشاعرة والمعتزلة.

فاختلطت ثقافة العرب مع العجم وعربت الألفاظ وترجمت الكتب والمؤلفات وكان لابد لهذه التغيرات والتطورات والتوجهات أن تترجم من طرف الشعراء الذين تأثروا بمجريات وأحداث العصر وينظموا في هذه المجالات ويترجموا الواقع المعاش آنذاك.

هذه التغيرات أحملت الكثير من الجديد بدءا بنظام الحكم، مرورا بالحياة الاجتماعية وصولا إلى الفكر والأدب والشعر وكان لا بد في حياة التحضر الجديدة أن يبرز شعراءوأدباء يمثلون لها ومن المعروف أن لكل عصر شعراء نقاد ومفكرين يكتبون عن تلك الحياة والواقع والزمان والمكان.

وكان من هؤلاء شاعر اللهو والمجون أبو نواس الذي يعتبر من أكثر شعراء العصر العباسي اطلاعا على ضروب الثقافة المختلفة في عصره وقد حرص يتلقى ثقافته على العلماء المعروفين.[1]

فهو الذي كان يلهو ويعبث كما يلهو سواه ويعبث، ثم يصف لهوه وعبثه وصفا صادقا، لا يكذب فيه ولا ينافق ولا يتضع. [2]

كما كان مطلعا اطلاعا واسعا على الشعر القديم وقد تركته ثقافته الشاملة وتميزه في كثير من نواحيها أثرا كبيرا في أفكاره ومعتقداته ومعلوماته وخبراته ودوافعه وطرق تعبيره. وخلقت في نفسه نوعا من الاعتزاز وجعلته يشعر في أعماقه انه متميز على المستويين الشخصي والإنساني. [3]

وهنا تبرز خطورة الأثرالأدبي الذي تركه الحسن بن هانئ للأجيال التي أتت بعده في ديوانه. [4]

---

[1] عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، كلية الآداب، جامعة اليرموك، دار جرير للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص 65.

[2] ابن منظور المصري: أبو نواس، دار الجيل، بيروت ،لبنان ،دط،1990، ص 8.

[3] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط،14،1981، ص 111.

[4] ابن منظور المصري، أبو نواس، ص 9.

1 تعريف المؤثر:

1 1 لغة: بقية الشيء والجمع آثار وأثور. وخرجت في أثره وفي أثره أي بعده.

و**الأثر:** بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء.

و**التأثير:** إبقاءالأثر في الشيء: ترك فيه أثرا،

والآثار:الأعلام.

و**الأثر:** الخبر والجمع آثار.

والأثر: مصدر القول أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك. [1]

و**الأثر والأثر والأثر:** على فعل وهو واحد ليس بجمع – فرند السيف ورونقه والجمع أثور.

واثر السيف تسلسله وديباجته.

واثر الوجه وأثره: ماؤه ورونقه واثر السيف: ضربته.

واثر الجرح: أثره بعدما يبرا. [2]

وقيل الأثير: الصبح، وذو أثير. وقته. [3]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار صبح، اديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 2006، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

[3] المصدر نفسه، ص 59.

1 2 -اصطلاحا:

هي تلك المتغيرات والمستجدات التي طرأت على العصر العباسي التي تخللها انتقال الحياة من طور البداوة إلى التحضر والمدنية وتأثر العلاقات الاجتماعية وتغير نمط الحياة وشهد ازدهارا كبيرا في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية وصولا إلى الفنية. كما شهد موجة انقلابات كبيرة وبروز اتجاهات معادية للعرب من طرف العصر الأجنبي الذي دخل واندمج وتغلغل مع العرب وبدا ينفث وسمه داخل المجتمع العباسي ممجدا الحركة أو سبيل معين.

فالحياة تجري وتسري في مجرى تطوري فلا تنفك تسقط حضارة لقوم حضارة أخرى مكانها تعاكسها في كل شيء ولا ينفك يذهب عصر فيأتي عصر جديد يحمل جديدا عن سابقه في طرق العيش وسبل البقاء وأسباب التطور والحضارة ولا شك أن اختلاط العرب والعجم في العصر العباسي كان له اثر بارز في الحياة العامة أو الخاصة للعرب.

وقد أثرت هذه المتغيرات في العصر على جهتين: جهة الحياة العامة والناحية الفكرية.

1 3 -أشكال التأثير

أ -الحياة العامة

اتساع الرقعة الجغرافية لبلاد المسلمين على حساب الأممالأخرىأدىإلى الاحتكاك بالشعوب والأخذ منها من كل صغيرة وكبيرة، فقد تطور العمران في العصر العباسي

وشهدت الزراعة والتجارة ازدهارا لا مثيل له وتبدل الحكم ودخول الفرس في بعض مناصب الدولة، وتطورت الحياة الاجتماعية وانتشرت مظاهر الترف واللهو والمجون دور الخمر وكثر شاربوها في الحانات والدكاكين وكثرة الجواري والغلمان والرقيق والموالي والعبيد.

تلك الخصائص تعد دواء وحضارة بدأت تتشكل وتتطور لتحول إلى منارة تضيء العالم بما تجمل من جديد في الحياة فقد اخذ العرب من تقاليد الأممالأخرى في الملبس والمأكل والمشرب وأدوات الزينة والنسيج والأدوات المنزلية واحتكوا بهم بالزواج والمصاهرة وأصبح العصر العباسي يحمل مزيجا من العرب والعجم وخليط من الأنساب والقرابات المختلفة والممزوجة بدواخل أجنبية باتت متغلغلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والصناعية وغيرها من الميادين والمجالات، كذلك كثرة الولائم والأفراح والعزائم ومظاهر البذخ والغناء واللعب والفسق وصولا إلى الزندقة وبعض مظاهر الخروج عن الدين والعبث بتعاليمه وحركات معادية للعرب كالشعوبية واتجاهات ومبادئجديدة باتت تحكم العرف العربي تقاليد العرب المعروفة من قبل مما أدىإلى نشوء قوميات وطوائف تمجد تظاهر خارجة عن الدين لمحاولة زعزته والحط من شأن الإسلام.

ب-الحياة الفكرية

كان لاتساع المرحلة الزمنية التي شملها العصر العباسي أثره كبير في تنوع الأدب وغناه بالإغراض والتيارات الفنية والفكرية ولقد صبت فيه روافد متعددة في المجتمع العباسي نفسه، ومن العناصر الداخلية التي اندمجت فيه وصبغته بألوان جديدة وطريقة ما عرفها العرب من قبل. [1]

كل هذه المزايا والأحداث والتطورات، والانقلابات السياسية والحركات الفكرية مهدت لظهور شعر جديد يترجمها، وكان لابد من شعر يواكب هذه الحضارة الجديدة من حيث رقة العبارة وكثرة المعاني والبديع اللفظي والتوسع في المصطلحات اللفظية وتعريب الكلمات الأعجمية واستخدامها في أشعار ومؤلفات الأدباء بمستوى يرقى ليواكب حالة الترف والازدهار في العصر. فقد شهد العصر العباسي الكثير من المتغيرات المتعددة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والزراعة والعمران ومظاهر التأنق والسخاء والتحضر الاجتماعي مما اثر تأثيرا كبيرا على التجربة الإنسانية والفنية على حد سواء.

وكان لزاما من يعيش في هذا العصر أن يتكيف مع الإطار الحضاري الجديد، وان يعمل جاهدا لاستيعاب كل هذه المتغيرات. [2]

---

[1] يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2011، ص 13.

[2] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1989، ص 107.

2 بين القديم والجديد:

من المعلوم إن لكل عصر شعراء يمثلونه ويدافعون عنه ويكتبوا عن واقع ذالك العصر ولما كان الشعراء مرآة عصرهم فقد كانوا مطالبين بالتعبير عن هذا الواقع الجديد حيث يعيشون فيه، وينغمسون في ملاهيه، ومن هنا نشأت الحاجة إلى التعبير عن هذه الأنماط الجديدة التي كانت قد استقرت على يد شعراء العصر الأموي وهكذا كانت اكر ملائمة لعصرها التي استخدمت فيه. [1] وكان على الشعراء –حينئذ– أن يوفقوا بين محافظتهم على القديم وبين متغيرات العصر، وانه لا بد أن يوكب هذه المتغيرات تغير في الفن حيث تناسب الألفاظ والتعبيرات والأساليب المجتمع الجديد (...) وهكذا أيقن الشعراء في ذلك العصر – بان التمسك بمذاهب القدامى لن يرفع من شانهم ولن يضعهم في مرتبة هؤلاء الشعراء أيضا. [2]

والمتبع في الشعر العباسي والقارئ لدواوين الشعراء يلاحظ أن هناك فروق بين الشعر القديم والشعر العباسي الحديث، يتمثل ذلك في ميل الشعراء في هذا العصر إلى نقض المعجم اللغوي القديم والنزول بشعرهم إلى العامة ومخاطبتهم بالعبارات والألفاظ السهلة التي يلتقطها الشعراء من أفواه الناس في كل مكان وهذا ما جعل شعرهم يخالف الشعر القديم المعروف بجزالته وفخامة لفظه، وبذلك أصبح شعرهم صورة عن أحاديثهم

---

[1] مصطفى عبد الشافي الشوري: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، ص 108.

[2] المرجع نفسه، ص 108.

التي كانوا يرددونها في مجالس الخمر والمجون. [1] وفي جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ولا يطلب من المعاني إلا ما يكون صوابا. [2]

وهذه الخاصية امتاز بها شاعر البلاط العباسي أبو نواس، الذي اتجه إلى الشعر يسكب فيه روحه، فرفض الأسلوب الجاهلي والأموي، واستجا ب إلى الكلمة المشتقة من دواعي الحياة مدركا أن الشاعر ينبغي إن يعطي صيغة شخصية للغة الشائعة وإلا يذوب أسلوبه في اللغة الجاهزة، فالشاعر الفذ هو الذي يضفي طابعه وحقيقته على العمل الفني بان يخلق عالمه اللغوي الخاص به بقوانينه التي تميزه، فيحطم الشكل والعلاقات والتراكيب التي فرضها المجتمع ويبني شكلا وعلاقات وتراكيب جديدة مستوحاة من تجربته ورأى أبو نواس أن اللغة ينبغي أن تكون وسيلة للإعراب عما يحسه الإنسان ويجول في فكره ومخيلته من أفكار وصور وأخيلة لا تكون غايتها استعمال الحوشي الغريب وزخرفة العبارات. [3]

3 التجديد في لغة الشعر وفي الأوزان والقوافي:

3 1 التجديد في لغة الشعر:

لقد كانت لغة التخاطب بعامة ولغة الأدب والشعر بخاصة قبل هذا العصر –العصر العباس الأول– فصيحة، فصاحة العرب، لا يكاد يوجد فيها دخيل واغل، ولا غريب

---

[1] مصطفى عبد الشافي الشوري: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، ص 173.

[2] عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ص 27.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

نازح، ولا هجين مرذول، ولا مقتحم سخيف ولا أجنبي ثقيل، وكان العرب يومئذ يسخرون ويتندرون من أصحاب اللحن مع قلة عددهم وندرتهم.

فلما قامت الدولة العباسية كثر الاختلاط والامتزاج بين مختلف الشعوب وتغيرت أوجه الحياة ولاسيما الاجتماعية منها في مختلف مظاهرها واتجاهاتها في اقل مدة من الزمن، على خلاف الحياة الفنية فان التغيير فيها لم يحدث طفرة واحدة.

وعلى الرغم من أن هذه الحياة كانت تسير بخطى وئيدة نحو التطور والتجديد، إلا أن أصوات المجددين ما لبثت أن ارتفعت صارخة في أكثر من مكان تنادي بالتجديد ولاسيما في الشعر ولغته، وقد كان أبو نواس في طليعة من حمل لواء التجديد. [1]

وكان من مظاهر التجديد أن مالت لغة الشعر نحو السهولة والبساطة، حتى تتمكن العناصر الأجنبية غير المتفهمة للعربية تفهم أبنائها لها من أن تتفهم الشعر وتتذوقه وتدرك مضمونه، علما بان هذه العناصر بدا نفوذها يزداد ويقوى يوما بعد يوم، ويأخذ طريقة نحو الوظائف البارزة في الدولة القائمة على أكتاف الموالي، الذين قبضوا على زمام الأمور فيها، والذين كان لهم دور في الحياة الأدبية التي ظلت تتطور وتتجدد في أكثر من مظهر، وتتجه اتجاهات جديدة، وليست سهولة اللغة وبساطة ألفاظها ورقة تعابيرها ودنوها أحيانا من مستوى العامة هو ما يميز ظاهرة التجديد في هذه اللغة فحسب بل هناك ظواهر أخرى، بعضها يبرز مدى التطور والتجديد الذي أصاب لغة العصر، بسبب

---

[1] مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر العباسي الأول (132 هـ – 232هـ)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي القديم، إعداد مصطفى بيطام، إشراف جودت الركابي، 1406 هـ/ 1985 م، جامعة قسنطينة، ص 440.

سيطرة عنصر الموالي على زمام الحكم من جهة وتحكمهم في سوق الأدب والشعر من جهة ثانية، حتى غزت بعض الأفكار والعبارات والألفاظ الأجنبية كالفارسية على وجه الخصوص، لغة الشعر كما غزت لغة الحياة اليومية والعملية. [1]

3 2 التجديد في الأوزان

أن الحديث عن التجديد في الأوزان الشعرية يقودنا إلى هدفين إلى هدفين أراد المولدون والمجددون تحقيقهما هما: الوصول إلى اختراع أوزان جديدة تساير روح العصر ومتطلباته ومستجداته، محاولة تقليب هذا المرون على أكثر من وجه، وبذلك يتحقق لهم التطور والتجديد المرغوب فيه ويكون على مقربة من الهدف المستعصي عليهم.

ولم يلبث الشاعر العباسي أن حاول النفوذ إلى أوزان جديدة، وإذا هو يكشف وزنين سجلهما الخليل بن احمد حين وضع نظرية العروض، وهما وزنا المضارع والمقتضب أما المضارع فأجزاؤه مفاعيلن فاع لاتن، مفاعيلن، ودائما تحذف فيه التفعيلة الأخيرة، كما في قول أبي العتاهية:

أياعُتْبَ ما يضرّك أنْ تُطْلِقي صفادي

أما المقتضب فأجزاؤه : مفعولات مستفعلن مستفعلن، وتحذف التفعيلة الأخيرة.[2]

---

[1] مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر العباسي الأول، ص 450.

[2] شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ج2، ط16، 2004 ص 194.

كما يقول أبو نواس في مقطوعته: [1]

حامِلُ الهَوى تَعِبُ يَستَخِفُّهُ الطَرَبُ

إِن بَكى يُحَقُّ لَهُ لَيسَ ما بِهِ لَعِبُ

ولم يكتفي أبو نواس بنشر إذاعة شعره في عصره بل كان يرى نقصا لابد من تكملته في شعره، بتوفير العنصر الجمالي، فكان الشكل سبيله في تكملة هذا النقص.

3-3- القوافي

ظلت القصيدة العربية محافظة على قوامها ونظامها المعروف، وهذا النظام هو الوزن القائم على التفاعيل والقوافي الموحدة، ثم جاء العصر الإسلامي والأموي واتسعت دائرة هذا الوزن واستخدم استخداما واسعا في فنون الشعر وأغراضه.

ولما جاء العصر العباسي تطورت الحياة وتعددت المجالات وكثر الغناء والأنغام وبمختلف أنواعه، مما جعل دعاة التجديد من الشعراء يفكرون في شتى طريقة جديدة تريحهم من محنة القافية التي تعد في نظرهم اكبر من محنة الأوزان الخليلية. [2]

كذلك دفعت بعض الشعراء كابي نواس إلى الإعلان جهرا، انه قادر على الإتيان بشعر متحرر من القافية إذ يروى أن الأمين ابن زبيدة قال له مرة، هل تصنع شعرا لا قافية له فقال له: نعم، ثم انشد مرتجلا على الفور:

ولقد قلتُ للمليحة قُولي من بعيدٍ لمن يُحبكِ (إشارة قبلة)

---

[1] علي فاعور: ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423 هـ - 2002 م، ص 17.

[2] مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال العصر العباسي الأول، ص 474.

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي إشارة لا لا

فتفسرت ساعة ثم إني قلت للبغل عند ذلك: أشار امش

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن ثانيته وأعطاه الأمين صلة شريفة وقد عقب ابن رشيق على هذه المحاولة فقال: «وقد جاء ابن نواس بإشارة أخرى لم تجد العادة بمثلها»

هذه المحاولة التي أسهمت في تكسير القافية فسحت المجال للحديث عن أوجه تجديد هي: المزدوجات والرباعيات والمخمسات والمسمطات.

فالأولى أبدع فيها الرقاشي وأبو العتاهية وغيرهم والرباعيات تفنن فيها أبو العتاهية وأبي نواس كقول هذا الأخير: [1]

ادر الكاس واعجل من جبس واسقنا ما لاح نجم في الغلس

قهوة كرخية مشمولـــــــة تنفض الوحشة عنا بالأنس

ونتحدث عن تلك الأشعار التي تأتي بخمسة أقسمة، من وزن وقافية، الأربعة الأولى منها متحدة القافية وهي تختلف من دور إلى آخر، والقسم الخامس يبقي على قافية واحدة والمعروفة بالمخمسات كقول أبي نواس:

ما روض ريحانكـــم الـــزاهـــر وما شذا نشركـــم الـــعـــاطـــر

وحق وجدي والهـــوى قـــاهـــر مذغبتمو لم يبـــق لـــي نـــاظـــر

أن أبي دجل غائر

[1] مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال العصر العباسي الأول، ص 475.

وهذه القصيدة طويلة جدا والملاحظ لها يرى أن بعض تراكيبها مالت لبعض العامية وهذه الطريقة اتبعها الوشاحين الأندلسيين فيما بعد.

ثم يأتي المسمط الذي هو ضرب من الشعر تتوالي فيه الأدوار ولكل دور قوافيه الخاصة به ومن مسمطات أبي نواس يوم ا نجح مع جنان، وجعل يلبي ويطرب ويغني قائلا:

إلهنا ما أعـــــدلكْ .....مليك كلّ من ملكْ

لبيك قـــد لبيتُ لكْ .....لبيك إن الحمد لكْ

والملكُ لا شريك لكْ .....ما خاب عبدٌ سألكْ

أنت له حيث سلكْ .....لولا ك ياربي هلكْ

الى أن يقول:

والليلُ لمّا أن حلكْ .....والسابحات في الفلكْ

على مجاري المنسلكْ .....لبيك إن الحمد لكْ

وكذلك قوله:

سلاف دن كشمـــس دجـــن

دمع جفن كخمـــر عـــدن

إلى قوله:

اللهو شأني فلا تلـــمـــنـــي

ولعل الدافع الأساسي الذي يدفع الشعراء في هذا العصر إلى استحداث من هنة الأوزان الجديدة، ذات الجرس الموسيقي الشعري وابتكار في الأوزان والقوافي تتماشى ومتطلبات هذا الفن الذي أصبح يستند إلى قوالب ومقاييس جد متطورة. [1]

لكن رغم هذا فا الشعراء مهما حاولوا التجديد إلا أن القصيدة الشعرية العربية تبقى رهينة الوزن والقافية والموسيقى ولو في بيت واحد منها، لتعبر عن خواطر وكرىتم نفسية ومشاعر إنسانية مترجمة في الحان عروضية مميزة.

وفي ختام هذا الفصل نقول: «أ ن أبا نواس وضع في الأدب العربي أسس لم ترض الأخلاق، فقد أرضت فن الأدب وان كرهها رجال الدين، فقد أحبها رجال الفن»[2]

---

[1] مصطفى بيطام: مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال العصر العباسي الأول، ص 433.

[2] أبو نواس: مجلة الهلال، دار الهلال، مصر، ج1، سنة 44، ص 22،23.

الـفـصـل الـثـانـــي

مظاهر التقليد والتجديد
عند أبي نواس

تمهيد:

شهدت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تطورا كبيرا إذ ضمت الدولة العباسية مزيجا من الشعوب الإسلامية، منها العربي والفارسي والتركي والروسي وغيرها، وأدى هذا التمازج إلى ظهور الحضارة الإسلامية، وقد تأثر الشعر في هذا العصر بلواكن هذه الحياة الجديدة.[1]

وكان لهذه المداخلة التي جرت بين العرب وتلك العناصر خصوصا الفرس، أثرها الفعال في صيرورة الأمة العربية، ولغتها إلى ما كانت عليه في هذا العصر، وقد ظهرت أثار هذه المخالطة وتلك المداخلة في الأجسام والعقول، والعادات وسائر شؤون الاجتماع.[2]

وكان لهذه التغيرات والتطورات دور فعال في تغيير مواضع الشعر والمجيء بمواضيع جديدة تخدم العصر الجديد، وكان لابد للشعراء أن يعبروا عن هذا الواقع الحضاري الجديد ويتأثروا بمختلف الثقافات والعناصر الأجنبية الدخيلة على المجتمع العباسي، ومن هذه الطائفة أبو نواس شاعر اللهو والمجون حيث يعتبر من أكثر شعراء العصر العباسي اطلاعا على ضروب الثقافة المختلفة في عصره وقد حرص أن يتلقى ثقافته على العلماء المعرفين. [3]

---

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص 18.

[2] محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة البابي لهلي وأولاده، مصر، ط1، ج2، ص9.

[3] عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ص 65.

أما النظم فيشهد بعلو كعبه فيه أهل العربية حدث الآمدي عند المبرد قال: «ما تعاطى الشعر احد من المحدثين أحدق من أبي نواس»[1]

ورغم أنأبو نواس من الطليعة التي تأثرت بالقديم ونظمت فيه فهو مقلد سار على نهج الأقدمين مستخدما شكل القصيدة ووزنها وقافيتها وألفاظها المتوعرة الخشنة والملسنة إلا انه مجدد يدعو إلى الحياة العامة في باب اللذائذ واللهو، وامتاز شعره بالرقة والرشاقة والأسلوب الشيق المليء بالتصوير الفني للحالات وكذلك طابعه الحسي المجرد في وصف الأشياء. ونستعرض أهم غرضين في التقليد وهما المدح والوصف.

1 مظاهر التقليد:

1 1 المدح

لقد نظم أبو نواس في المدح على عادة الأقدميين وقد اضطر إلى مجاراتهم في اختيار البحور الخليلية، ولزوم جانب الترضي، والافتتاح بالغزل، وصف الابل وما إلى ذلك، وما ذلك إلاإرضاء لذوي السلطان والتقرب منهم، وقد برع أبو نواس في هذا الشعر التقليدي براعة كبرى وان تكلفه تكلفا، فجارى أكابر شعراء المدح في متانة السبك وروعة الأسلوب، ولكنه لم يأت فيه بجديد. [2]

ويعد أبو نواس من أكثر الذين يحرصون على تقاليد العرب في هذا الغرض بالذات رغم تذمره من حين لأخر من هذه التقاليد الموروثة ورغم انه أسرف في السخرية من

---

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص 111.

[2] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجل، بيروت، لبنان، 1426 هـ – 2005 م، ص 11.

العرب والوقوف على الإطلال وركوب الناقة والرحلة إلى السمو حالا انه لا يرى نفسه مجيد إلاإذا التزم هذا النهج التزاما، ومن العجيب أن يجيد فيه كل الإجادة، وما من قصيدة من عيون مدائحه، إلا سار فيها على النهج التقليدي القديم وقدم فيها ما يعجب ويطرب حتى قيل عن مدائحه أنها صورة مصغرة لمدائح زهير والخطيئة والأعشى في الأخيلة والخواطر والمقاصد والأغراض. [1]

يقول في مدح هارون الرشيد: [2]

حَيِّ الدّيارَ ؛ إذِ الزّمانُ زُمانُ وإذِ الشّباكُ لنا خوىً ومَعانُ

يا حَبَّذا سَفَوانُ من مُتَرَبَّعٍ ولَرُبَّما جَمَعَ الهَوَى سَفَوانُ

وإذا مَرَرْتَ على الدّيارِ مُسَلِّماً فلِغَيرِ دارِ أُمَيْمَةَ الهِجْرانُ

إنّ شبْثَا ، والمناسِبُ ظِنَّةٌ حتى رُميت بنا، وأنت حَصانُ

وربما كان أبي نواس شاعرا حادقا يعرف كيف يجتاز الصفات التي تعجب الممدوح فقد ركز في مدحه للرشيد على صفتين اشتهر بهما هما: الحج والغزو، فقد ذكر في تاريخه انه كان يحج سنة ويغزو سنة لذلك أبي نواس على هاذين المعنيين إلحاحا بارعا في صياغة ذكية فيقول: [3]

هارونُ أُلِّفَنَا ائْتلافَ مَوَدَّةٍ ماتَتْ لها الأحْقادُ والإضغان

---

[1] عروة عمر: الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر، دط، 2010، ص99.

[2] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 548.

[3] المصدر نفسه، ص 549.

في كلّ عامٍ غَزْوَةٌ وَوِفَادَةٌ تَنْبَتُّ ، بينَ نواهما ، الأقْرَانُ

حجٌّ، وغزْوٌ ماتَ بينَهما الكَرَى باليَعْمَلاتِ شِعارُها الوَخَدَانُ

إلى أن يقول:

أَلِفَتْ مُنادَمَةَ الدّماءِ س فلَقَلَّما تَحْتارُها الأجْفانُ

ويموت الرشيد ويلي الأمر من بعده ابنه محمد الأمين، وكان الأمين مسرفا على نفسه في الشراب إسرافا شديدا، كما كان غارقا في لذاته مستخدما من أبي نواس خدينا ونديما، وكان من الطبيعي أن يمدحه أبو نواس، وان يكثر في مدحه مبدعا مجودا. [1]

يقول في مطلع قصيدته في مدح الأمين التي بدأها بالوقوف على الديار ومساءلتها: [2]

يـــا دارُ مـــا فَـــعَلَت بِكِ الأَيّامُ ضـــامَتكِ وَالأَيّـــامُ لَـــيسَ تُضامُ

عَـــرَمَ الزَمانُ عَلى الَّذينَ عَهِدتُهُم بِـــكِ قـــاطِنينَ وَلِـــلزَمانِ عُرامُ

أَيّـــامَ لا أَغـــشى لِأَهـــلِكِ مَنزِلاً إِلّا مُـــراقَـــبَةً عَـــلَـــيَّ ظَـــلامُ

في هذه القصيدة اجادة لا مثيل لها تبين ا نابا نواس خطا على نهج الأقدمين ذلك بالوقوف على الديار ومساءلتها، ومناجاتها مناجاة حارة مليئة بالأسى واللوعة، وينتقل إلى وصف ناقته الهوجاء الجريئة المقامة التي سبقت كلى المطي في البرية الموحشة في قوله:[3]

---

[1] مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 283.

[2] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 490.

[3] المصدر نفسه: ص 490.

وَإذا الــمَطِيُّ بِــنا بَــلَغنَ مُحَمَّداً فَــظُهورُهُنَّ عَــلى الرِجالِ حَرامُ

قَــرَّبنَنا مِن خَيرِ مَن وَطِئَ الحَصى فَــلَها عَــلَينا حُــرمَةٌ وَذِمــامُ

يقول أبو نواس: [1]

أقول والعيس تعروري الفلاة بنا صعر الأزهة من مثنى ووجدان

لدات لوث غفرناه، عدا فره كان تضبيرها تضبير بنيـــــان

يا ناقُ لا تَسْأمي ، أو تَبْلُغي مِلْكاً تَقبيلُ راحَتِهِ والرّكنِ سِيّانِ

متى تحطّي إلَيهِ الرّحلَ سالِمَةً تَسْتَجْمِعِي الخَلْقَ في تِمْثالِ إنْسانِ

نلاحظ في هذه القصيدة التي مدح فيها أبو نواس الأمين الذي سار إليه على ظهور النوق الغريبة الأوصاف، وخلع عليها صفات الدين ودافع عن حق بني العباس في الخلافة فأعطى هذه القصيدة لونا سياسيا شبيها بقصائد العصر الأموي، وقد بدا في هذه النونية بوصف العيس والاغتراب الشديد ثم انتقل إلى وصف الناقة الراحلة على نحو ما كان يفعل القدماء ثم يطلب منها إلا تسام حتى تصل إلى الملك.

1 2 الوصف

يعد الوصف من الأغراض القديمة خاصة في الشعر الجاهلي وتناوله الكثير من الشعراء في قصائدهم وأشعارهم ولكنه يخلو من متوعر اللفظ والخشونة والصعوبة،

[1] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 553، 554.

ولبس المعنى وتبهمه ومن مثل الشعراء الذين تناولوا الوصف نذكر امرؤ القيس الذي يصف رحلة صيد في إحدىالأيام وقد بدأوا الرحلة في وقت الصباح الباكر حيث يقول:[1]

وقد أغتَدي والطّيرُ في وُكُناتِها بمُنجَردِ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

إلاأن الصيد في الجاهلية وحتى الإسلام كان موضوعه موضوع وصفي للرحلة، ذهابا وايابا ومجرياتها وبطولة الرحلة والمغامرات ونجد أبو نواس قد استجاب لهذا الغرض وأولاه اهتماما كبيرا على جانبين قديم وجديد، أما القديم تميز بخشونة اللفظ وجزالته وغرابته والتوثب، حافلا بالدقة والإبداع، زاهيا بألوان البديع وإصباغ الخيال. [2]

فطردياته أراجيز تصف الكلاب والفهود وطيور الباز، وما إلى ذلك من أسباب الصيد والطرد. وهو فيها شاب مدح يتنغم بقوة الشباب وعشرة أهل الرخاء، ويقرن ذلك بجمال في الوصف ورشاقة التعبير. [3] يقول: [4]

لَمّا تَجَلّى اللَيلُ وَابيَضَّ الأُفُق وإنجاب سِترُ اللَيلِ عَن وَجهِ الطُرُق

باكَرَني سَهلُ المُحَيّا وَالخُلُق نَدبٌ إِذا اِستَندَبتَهُ شَهمٌ لَبِق

يَدعو إِلى الصيدِ أَلا قُلتَ اِنطَلِق بأكلب غُضفٍ صَحيحاتِ الحَدَق

مِن أَصفَرِ اللَونِ وَمُبيَضٍّ يَقَق كَأَنَّما أُذناهُ مِن بَعضِ المِزَق

لَو يَلصِقُ الخَدَّ بِأُذنٍ لاَ لتَصَق

---

[1] العيس: ضرب من النوق

[2] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 711.

[3] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص 123.

[4] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 520.

وقال ينعت كلبا اسمه خلاب لسعته حية فمات، فسكن في قلبه شيء من الإحساس بالأسى والحزن على هذا الكلب الحادق القوي الذي يجاري الفريسة وينقض عليها، يقول: [1]

يا بُؤسَ كَلبي سَيِّدِ الكِلابِ ... قَد كانَ أَعناني عَنِ العُقابِ

وَكانَ قَد أَجزى عَنِ القَصّابِ ... وَعَن شِراءِ الجَلَبِ الجَلّابِ

يا عَينُ جودي لي عَلى حَلّابِ ... مَن لِلظِباءِ العُفرِ وَالذِئابِ

وَكُلُّ صَقرٍ طالِعٍ وَثّابِ ... يَختَطِفُ القُطّانَ في الرَوابي

كَالبَرقِ بَينَ النَجمِ وَالسَحابِ ... كَم مِن غَزالٍ لاحِقِ الأَقرابِ

ذي جيئَةٍ صَعبٍ وَذي ذَهابِ ... أَشبَعَني مِنهُ مِنَ الكَبّابِ

خَرَجتُ وَالدُنيا إِلى تَبابِ ... بِهِ وَكانَ عِدَّتي وَنابي

أَصفَرُ قَد خُرِّجَ بِالمُلابِ ... كَأَنَّما يُدهَنُ بِالزِرياب

فَبَينَما نَحنُ بِهِ في الغابِ ... إِذ بَرَزَت كالِحَةُ الأَنيابِ

رَقشاءُ جَرداءُ مِنَ الثِيابِ ... كَأَنَّما تُبصِرُ مِن نِقابِ

فَعَلِقَت عُرقوبَهُ بِنابِ ... لَم تَرعَ لي حَقّاً وَلَم تُحابِ

فَخَرَّ وَانصاعَت بِلا ارتِيابِ ... كَأَنَّما تَنفُخُ مِن جِرابِ

لا أُبتُ إِن أُبتُ بِلا عِقابِ ... حَتّى تَذوقي أَوجَعَ العَذابِ

---

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص 90.

وكل طردياته على هذا النمط، يصف فيها ما كان يتسلى به أهل الرخاء من صيد الغزلان وسواها، وهي صورة رشيقة للبيئة التي يعيش فيها الشاعر. [1]

وفي موضع آخر يصف أبو نواس صقرا فيذكر انه غدا لرحلة صيده ولازال الليل في جانب السواد وقد تضجرت سماؤه بين الظلمة والإصباح ومعه صقر من احدى بلاد فارس دقيق شديد الغضب متعدد الألوان شجاع مخاتل متكبر قاطع جريء على الأذى ينقض على صيده انقضاضا فيجند له. [2]

ويعتمد أبو نواس في أرجوزته هذه إلى الأغراض في الألفاظ والافتعال الشديد رصها ورصفها، وكأنه مجبر على أداء عمل مطلوب منه أداؤه فأجهد نفسه واتعب سجيته. [3] فيقول: [4]

قَد أَغتَدي وَاللَيلُ ذو غَياطِلِ ... هابي الدُجى مُضَرَّجِ الخَصائِلِ

بِتَوِّجِيٍّ مُرهَفِ المَعـــــاوِلِ ... حـــامي الحُمَيّا مُخلِطٍ مُزايِلِ

يوفي اِنتِصابَ المَلِكِ الحُلاحِلِ ... فَوقَ شِمـــالِ القانِصِ المُخاتِلِ

أَفحَجَ مَخشِيِّ الشَذى قُصائِلِ ... حَـتّى إِذا أَطلَقَ غَـــــيرَ آلِ

إِلّا بِما اِغتامَ مِنَ المـــَعاقِلِ ... صِلُّ المَغالي هَدَفُ المَخاصِلِ

وَالسِربُ بَينَ خارِقٍ وَوائِلِ ... كَأَنَّهُ حينَ سَما كَالـــــخائِلِ

---

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص 124.

[2] مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 311.

[3] المرجع نفسه، ص 311.

[4] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 453.

مُنقَلِبُ الحِملاق غَيرُ غافِلِ مُنكَفِتاً لِسِربِهِنَّ الجافِلِ

جَندَلَةٌ تَهوي إِلى جَنادِلٍ يَدوينَ بَينَ دَنِفٍ مُناقِلِ

وَبَينَ مُفَرّي القَرا خَرادِلِ كَأَنَّهُ في جِلدِهِ الرَعابِلِ

لابِسِ فَروٍ نائِسِ الذَلاذِلِ

فقد سار على نهج الأقدمين ومارس الصيد وكان الصق الشعراء بالأمين فترتي حياته، ولاية العهد والخلافة، وكان الأمين من كثرة الناس إقبالا على الملاذ وانتهاز الأوقات الفراغ، وكانت حياته كلها فراغا، ومن ثم فقد مارس القنص والطرد طويلا وأبو نواس في بطانته وركابه وبحكم الفراغ والمصاحبة بعزم أبو نواس بالطرد غراما كبيرا يكاد يقارب غرامه بالخمر، ومن ثم فانه يقتني كلاب الصيد وطيوره المدربة، ويصف رحلات القنص وحيوانها أحسن وصف وأتقنه بحيث أصبحت طردياته من أرق وأدق ما قيل في هذا الغرض من الشعر العربي، بحيث صار اقدر الشعراء على وصف حيوان الصيد بصفة عامة والكلاب بصفة خاصة. [1]

وفي الأرجوزة السابقة يظهر استعمال أبي نواس للغريب من اللفظ واللغة مما يوحي لنا انه تربى في البادية وتعلم منها هذا الغريب من الكلام الحوشي.

كان هذين النموذجين ضربان من التقليد عنده وقد توسع فيهما توسعا كبيرا مما يظهر لنا عبقريته الفذة في المدح والوصف، ويؤكد كذلك ا نابا نواس كان ملما بفصاحة

[1] مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 311.

لغة العرب وجزالتها لغة البادية المتوعرة التي هي صورة واضحة عن حياة الأعراب وترحالهم وصعوبة عيشهم في الصحاري والقفار والفيافي.

بالرغم من هذا التقليد الذي أولاه أبو نواس اهتماما كبيرا إلا انه كان أول من قام ثورة عارمة عليه خاصة الطلل ودعا إلى تغيير مقدمات القصائد التي تدور حول الترحال ووصف الناقة، والوحش والمساءلة وصيد الوحوش ودعا إلى وصف حال الشاعر وبيئته الخاصة ولهوه ومجونه وهنا ما سنراه في بوادر التجديد عنده.

2 -مظاهر التجديد:

2 1 -الشعوبية:

شهد العصر العباسي اكبر نهضة ثقافية في تاريخ الحضارة الإسلامية بتأثير الثقافات المختلفة "فارسية، يونانية، هندية" وقد تأثر الشعر بهذه النهضة فتطور تطورا ملحوظا. إلا أن تطوره لم يتفق والنهضة الشاملة التي أحاطت به ولا يتلاءم والروافد الثقافية التي عب منها الشعراء ذوي الجنسيات المختلفة.

فقد تميز هذا العصر بمظاهر الحضارة التي مست جميع النواحي والمجالات كما حمل ألوان تغير وتجديد على كل المستويات، وغير ملامح الحياة العربية بعد تعرب الأمم المفتوحة واختلاط العرب بالأجناس المختلفة، كما تميز باشتعال نار العصبيات والحركات والروافد والاتجاهات وسنركز على أشهرها إلا وهي الشعوبية.

يعتبر أبو نواس من رواد الشعوبية في العصر العباسي الذي أحدث ثورة على وصف الأطلال، وذلك التقليد الفني الذي استقر في فواتح القصائد في العصر الجاهلي، وكان من أهم هؤلاء الشعراء الذين حملوا رايات هذه الثورة، ورفعوا شعاراتها، وعملوا على نشرها وإعلانها، حتى أصبحت حركة تهدد العرب وتحط من شانهم ومكانتهم السامية. [1]

وقد عمل أبو نواس تحت راية الشعوبية وحمل لواءها ودافع عنها وترجمها في إشعاره مما جعل الشعراء يصفون شعوبيته بأنها ثورة على القديم كالوقوف على الإطلال وبكاء الدمن، ومساءلة المنازل، وراح بذلك يتحامل على العرب ويحط من شانهم وعاداتهم، ومعيشتهم، لأنهم متمسكين بتلك التقاليد التي كان يراها ضعفا وهوان سالكا بذلك مسلكا بارعا توصل من خلاله إلى إظهار مزايا الحياة المترفة، وعيوب البدوية.

لقد كانت الشعوبية كنزعة تحمل في طياتها وثناياها تمجيد كل ما هو فارسي والأعراض عما هو عربي، وكان أبو نواس أول من تطوع لخدمة هذه النزعة، وظل ينقاد بنزعته إلى بناء أسلوب جديد ينقض به الأسلوب القديم، فراح يستهزئ بالشعراء الذين يفعلون كل ذلك ويدعوهم إلى إتباع مذهبه في اغتنام اللذة وتصوير حياتهم، وبيئتهم الحاضرة. يقول: [2]

---

[1] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، ص 36.

[2] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 281.

دَعِ الرَسمَ الَّذي دَثَرا يُقاسي الريحَ وَالمَطَرا

وَكُن رَجُلاً أَضاعَ العِل مَ في اللَذّاتِ وَالخَطَرا

أَلَم تَرَ ما بَنى كِسرى وَسابورٌ لِمَن غَبَرا

مَنازِهُ بَينَ دَجلَةَ وَال فُراتِ تَفَيَّأَت شَجَرا

بِأَرضٍ باعَدَ الرَحمَ نُ عَنها الطَلَحَ وَالعُشَرا

وَلَم يَجعَل مَصايدَها يَرابيعاً وَلا وَحَرا

وَلَكِن حورُ غِزلانٍ تُراعي بِالمَلا بَقَرا

وَإِن شِئنا حَثَثنا الطَي رَ مِن حـــافاتِـهـــا زُمَرا

يصور لنا في هذه الأبيات انه مفتتن بالحضارة ومظاهرها ويدعو للوقوف إلى ما تزخر به ضواحي دجلة والفرات من آثار فارسية وما شيده كسرى وسابور من حدائق ومنتزهات تعد آية في الجمال.

ويأخذ من هنا يذم أهل البادية رجالا ونساء، وشعره يعج بما يدل على شغفه بتاريخ فارس وأناقة الحضر، ونفوره من الحياة البدوية التي كان يتغنى بها الأقدمون. [1]

ويقول أيضا:

فَهَذا العَيـــشُ لا خِيَمُ البَوادي وَهَذا العَيشُ لا اللَبَنُ الحَليبُ

فَأَينَ البَدوُ مِن إِيوانِ كِسرى وَأَينَ مِنَ المَيادِيـــنِ الزُروبُ

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص 108.

وهكذا كانت الشعوبية في حقيقة أمرها تعبيرا عن الوعي القومي الفارسي في ذلك الوقت، لقد كانت في مظهرها تذمرا من السلطان العربي، لكن كان من وراءها سبب دفين آخر هو تقويض الإسلام والمسلمين والدولة الإسلامية وإعادة ملكهم الزائل. [1]

وقد قال أبو نواس في وصف بلاد العرب الخشنة وتهكمه وتحقيره لهم ما يلي:

«أين هؤلاء منا نحن المتحضر بين المنعمين، وكيف يساوي هؤلاء بنا وهم في رحيل دائم عبد الصحاري والقفار، يعيشون حياة جذب وشقاء، طعامهم اللبن و الحليب أو الحامض، ثم يدعو إلى ترك هذا كله ونبذة، لأنه ليس فيه مجال للمتعة والسعادة، وإنما السعادة في مجالس الشراب واللهو ولذلك نجده يبدأ في وصف الخمر ومجالسها» [2]

ونرى في الديوان أمثلة وشواهد كثيرة تحمل نزعة الشعوبية عند أبي نواس وحقده على العرب والحط من قيمتهم وشانهم، ومن بين الجهود التي بذلها الشعراء المولدون نحو لغة شعرهم أنهم طعموها أو ملحوها كما يقول الجاحظ بألفاظ فارسية كالتي تردد في شعر أبي نواس على سبيل المثال ولاسيما في خمرياته، كقوله مخاطبا بعض غلمانه من المجوس حالفا بأعيادهم ومعتقداتهم المجوسية:

والمهرجان المدار لوقته الكرار

والنكروز الكبار وحبش جاهنبار

وآسبال الوهاب وخرة ايران ستار

---

[1] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 39.

وفي هذه القصيدة نلاحظ كثرة الألفاظ الفارسية التي استخدمها أبو نواس للتعبير عن حال المجوس في أعيادهم ومعتقداتهم الدينية وتبين الطابع والثقافة الفارسية التي بقي متأثرا بها بعادات الفرس وتقاليدهم وطقوسهم و مناسباتهم، فالمهرجان من أعياد الفرس، والنوكروز هو عبد النيروز المعروف عندهم، وكذلك جش وجاهنبار بمعنى الدعوة العامة، أما آسبال بداية الربيع، والوهار هو المشرف وخزه هو موضع الشرب، أما ايران شار فتعني ايران العزيزة.

وهكذا فقد ادخل الشعراء كلمات أجنبية وطعموا بها قصائدهم وأصبحوا يتداولونها في أشعارهم المختلفة.

وهنا نستخلص ا نابا نواس الذي عاش في العصر العباسي بقي محافظا على العادات والتقاليد المختلفة التي كان يمارسها في ملك فارس الزائل، مستخدما ما جمعا من الألفاظ والمعاني التي تدل على الحياة العامة السائدة في بلاد فارس آنذاك.

2 2 -الزندقة والمجون، الفلسفة الهندية:

2 2 1 -الزندقة والمجون:

يعد أبو نواس من شعراء المجون والفسق واللهو في العصر العباسي، وقد سبقه إلى ذلك من قبل بشار بن برد لا سيما في الزندقة التي تعد خروج عن الدين والاستهزاء بتعاليمه وذلك بسبب كثرة المذاهب الفكرية كالشيعة والمعتزلة، والوجوديين وكان شاعرنا

من هؤلاء الدين تأثروا بهذه المذاهب التي تعمل تحت طائلة التظليل وتزعم نشر الدين بين الشعوب.

وهذه الميزة تقترن لديه بالعبث، إذ يتصدى للدين محاولا أن يهزأ بتعاليمه ولقد حرص أن يظهر المجان ممعنين في مخالفة أوامر الدين ساخرين من الذين يخضعون لها. يقول واصفا أحد صحبه في نشوة سكر:

إذا ما أدركَتْهُ الظّهْرُ صلّى و لا عَصْرٌ عليْهِ ولا عِشـــــــــاءُ

يُصلّي هذه في وقْت هذي فكُلّ صلاتِه أبداً قَضـــــــــــاءُ

و ذاكَ " محمدٌ " تَفديه نفسي و حُقَّ لهُ ، وقَلَّ لَهُ الفِـــــــــداءُ

أن محمد الدين يتحدث عنه ليس سوى الشاعر نفسه، وقد توسل به كما يتوسل الروائي بأشخاص الرواية ليظهر أدائه من خلالهم (...) فسكره نتيجة لنظرته إلى الحياة، والقلق الوجودي الذي يعانيه والهزء الذي يلتفت به إلى تعاليم الدين ليس في الواقع، سوى مظهر يدل على عدم إيمانه بما يدعو إليه. [1]

وهذه الأبيات تبين مدى مجون أبي نواس ونفسيته البائسة التي تظهر أن أبو نواس أبو النزعة الوجودية وما وصل إليه من كفر واستباحة المحرمات ونزعة الهوى والظلال التي تختلج دانيته.

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، دط ،1998، ص: 262.

فيقول في مطلع هذه القصيدة: [1]

يا سُلَيمانُ غَنِّني وَمِنَ الراحِ فَاسقِني

ما تَرى الصُبحَ قَد بَدا في إِزارٍ مُتَبَّنِ

إلى قوله:

اِسقِني الخَمرَ جَهرَةً وَأَلِطني وَأَزنِني

في هذه القصيدة نلاحظ ا نابي نواس تسيطر عليه النزعة الوجودية ففي هذه الأبيات نلاحظ أن هناك المؤذن والكأس واللواط، ولقد رذل الشاعر صوت المؤذن ومضى إلى الوحش والفجور في الخمرة والزنى، وهكذا، فان واقع الحياة انتقض بالنسبة إليه، فبدلا من الصلاة يقبل على المجون، ونحن لا ندمج في إقباله سورة المنكسر الذليل المرغوم، وهو لا يقبل الستر ممتقعا ذليلا. مدركا أن يتساقط وينحدر. بل يدعي في ذلك ويقيم أعراسه الفاحشة علانية، لأنه يؤمن أن الفجور ينبغي أن يكون الوجه الايجابي للتصرف الإنساني. [2]

وهذا ما نشهده في شعر أبي نواس دائما من إباحية مفرطة، وانحلال خلقي يعكس صفة الإنسانية ويصب في خانة الفاحشة واهانة النفس والتعدي عليها، والبعد عن الدين وأوامره ونواهيه وحدوده والسخرية من مبادئه بالمجاهرة بالمعصية والحث عليها وديوانه مليء بهذه الشواهد.

---

[1] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 283.

[2] شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص 149.

2 2 2 فلسفة أبي نواس الهندية:

تتحدث في هذا الفصل عن إحدى الثقافات التي تأثر بها شاعرنا، ومن المعروف وسبق ذكره أن العصر العباسي هو بوثقة التحضر والازدهار والنهر الذي تصب فيه مختلف روافد الحضارة ومجر التقاء الثقافات وامتزاج الفكر من حضارات الفرس واليونان والهند، وهذه الأخيرة (الهند) تأثر بها أبو نواس وأولاها اهتماما كبيرا في بعض أشعاره متأثرا بمبادئها وأفكارها الفلسفية وعلومها، كفلسفة الحساب، وعلم الطبائع وغيرها.

وقد تأثر الشعراء بهذه الثقافات فمضوا يتمثلون من هذه الألوان ويحيلونها غذاء شعريا بديعا، يراد منها الهندي أو الفارسي أو اليوناني وما لا يحلوه تأثروا به من قريب أو من بعيد، ولنقف قليلا عند الثقافة الهندية فقد لاحظ ابن قتيبة أن أبو نواس كان يتأثر ببعض أفكارها في استعاره يقول في وصف الخمر: [1]

تخيرت والنجوم وقف لم يتمكن بها المدار

فلم تزل تأكل الليالي جثمانها ما بها انتصار

حتى إذا أمرها تلاشى وخلص السر والنجار

آلت إلى جوهر لطيف عيان موجوده ضمار

كأن في كأسها سراباً تخيله المهمه القفار

لا ينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهار

---

[1] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 205.

ويعلق ابن قتيبة في هذا المجال بقوله: يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج، ثم سيرها من هناك، وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها منه وان عادت إليه قامت القيامة. [1]

هذه الأبيات تدل على تأثر أبي نواس بفلسفة الهند في الحساب والفلك والنجوم، والطبائع والكواكب وغيرها التي كان منبع هذه العلوم شعوب الهند والروم والفرس الذين أولوها اهتماما كبير ونشروها في مختلف البقاع والبلدان.

وينشد ابن قتيبة قول أبي نواس في بعض المغنين هجائيا: [2]

قُلْ لزهير إذا حدا و شدا أقللْ أو أكثر فأنت مهدارُ

سَخُنْتَ من شدة البرودة ح تّى صِرْتَ عندي كأنّك النار

لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حـــــار

يعلق ابن قتيبة : وهذا الشعر يدل على نظره، أي: نظر أبي نواس في علم الطبائع؛ لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارًّا مؤذيًا ووجدت في بعض كتبهم: لا ينبغي للعاقل باحتمال السلطان وإمساكه، فأما انه شرس بمنزلة الحية إذا وطئت فلا تلسع

---

[1] شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص 148.

[2] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 283.

لم يغتر بها فيعاد لوطئها، أو سمح الطبع بمنزلة الصندل الأبيض البارد إذا أفرط في حكه عاد حارا مؤذيا. [1]

كان هذين الشاهدين من أهم الشواهد التي بينا من خلالها تأثر شاعرنا بالثقافة الهندية وعلومها وأفكارها، وفلسفتها واستخدمها في مواضع من شعره مبينا اثر هذه الثقافات والعلوم على الشعوب من جهة وعلى نفسيته الملمة بمختلف ضروب الثقافة.

2 3 ـ الخمر

2 3 1 ـ مسار الخمرة:

أدمن الجاهليون الخمرة، وربما أسرفوا فيها وإذا كان الشعر ألموا فيه بوصفها قد ضاع وتشوه أكثر، فان ثمة شعراء ممن وصلنا شعرهم يرسمون لنا صورة لما شاع في الجاهلية من تهتك ومجون. كما أن ترددها في بعض القصائد والاستهلال بها في بعض المعلقات يدلنا على أنها شاعت فيهم وأصبحت كالطل، تقليدا من تقاليد الشعر (...) فلو لم تشع الخمرة في حياة الجاهليين لما قدر لها أن تكرس في مطالع قصائدهم.

ولقد وصلتنا عن حياة الصعاليك والخلعاء أخبار تطلعنا على مدى تعاطيهم للخمرة وإدمانهم أيها، وربما رأيناها تقرر في طبائع الفروسية، يفتخرون بشربها، كما يفتخرون ببطولاتهم،

[1] شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص 149.

يقول عنترة: [1]

ولقَد شَربْتُ مِنَ المُدَامةِ بَعْدَمـــا ركَدَ الهَواجرُ بِالمشوفِ المُعْلَـــمِ

بِزُجاجَـــةٍ صفْراءَ ذاتِ أَسِـــرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَر في الشَّمالِ مُقَـــدَّمِ

فإِذَا شَـــرِبْتُ فإِنَّنِي مُسْتَهْلِـــكٌ مَالـــي وعِرْضي وافِرٌ لَم يُكلَـــمِ

ثم جاء العصر الإسلامي حاملا تطورات مست الجانب الديني وغيرت بعض الملامح والعادات فقد حرم الإسلام الخمرة ولم يتحرم عنها المسلمون جميعا. بل أن بعضهم أقام على احتسائها سرا وعلانية، إلا أنها غدت تلج إلى ضمائر مدمنيها بعقدة الذنب والخطيئة والشعور بمواقعة الشر. [2]

وفي العصر الأموي كانت الخمرة من الأغراض التي اعتراها التردد والأفول والتراجع والتقلص كونها عنصر الفساد في الروح والبدن والمال والعرض حيث نزل القران أكثر من أية تحرم الخمر.

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة: ٢١٩، وفي موضع أخر من سورة المائدة يبن تحريمها يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة: ٩٠ ، لكن أثر الدعوة الإسلامية خرج العرب من الجزيرة وافتتحوا البلاد التي كانت تجاورهم وقوّضوا إمبراطوريتي

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، 1998، ص 11.

[2] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 11.

الفرس والروم وأفادوا منهما، بالإضافة إلى العادات والتقاليد، كثير من الأموال التي جعلتهم يقضون حياة ناعمة، مترفة ويسرفون في اللهو والمجون ويقبلون على الشرب والغناء بالرغم من النواهي الدينية. [1]

ومع ذلك فالبيئة الأموية لم تختلف عن البيئة الجاهلية، فقد ظلت التبعية بمادتيها وأسلوبها من أهم مقوماتها. كأني بالشاعر الأموي عاش في البيئة بذهنية جاهلية كادت تنعدم معها التجربة الذاتية الصحيحة. [2]

نما اطل العصر العباسي أمعن تيار التحضر الأثيم في الاندفاع، فاتسعت حرية الفرد والمجموع، وعم الفساد من جراء تكاثر الأعاجم. [3]

وإذا كان مطلع العصر شيء من التستر يمليه ما بقي من خلق الموروث عند بعض الخاصة فان توالي الأيام انتزع من عقول العامة بقية الترصن والاستخفاء، فالمجون قد شاع، وحانات الخمر منتشرة، ومتطلبوا اللهو كثر، وشعراء الفسق والفجور مندسون في كل زاوية. [4]

ومن هذه الطائفة نذكر شاعر الخمر أبو نواس الذي أعطى للخمر مكانة هامة في شعره وصورها فأحسن تصويرها وخرج عن إطار المنادمة في العصور التي سبقته،

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 97.

[2] جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 30.

[3] المرجع نفسه، ص 32.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

ومزجها بعواطف ونفسيات وجواري وغلمان، وربطها بالفلسفة والألوان وأنواع الكؤوس والتصاوير في البساتين وبين الكروم والحانات.

أما خمرياته فتدل برغم ما يشوبها أحيانا من سوء المجون، على خفة روح عرف بها أبو نواس في عصره، وقد وصفه بعض معاصريه بقوله «بأنه أظرف الناس منطقا، مليح الكلمة حسن الإثارة فصيح اللسان عذب الألفاظ حلو الشمائل» [1]

ولقد صور أبو نواس عصره من ناحيته الجدية والعينية، فبرزت في شعره خلاعة العصر –وبرز معها وجدانه الحقيقي– كما تجاوبت أصداء الثقافات التي حفل بها عصر المتناقضات، عصر التمادي في الفجور، عصر النشاط الفكري، وانتشار البدع. [2]

وخمرته تصرف فيها تصرفا كاملا دقيقا واصفا ظاهرها وباطنها «فقد قال في أشعار لم يقل احد مثلها تعرض أحسن شعره، فقد سبق إلى معاني في الخمر لم يأتي بها احد قبله»[3]

فقد رفع أبو نواس الخمر ولونها بألوان من الأوصاف ورفعها إلى عالم الحس وربطها بمختلف مناحي حياته فقد ازدهر الشعر الخمري في الفترة العباسية التي عاشها أبو نواس «فهم يعدونه أمام هذه الطريقة كان للشعر ألفاظ محدودة فتجاوزها» [4]

---

[1] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص 120.

[2] جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، ص 116.

[3] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الاعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج3، ط5، ص 1985.

[4] جورجي زيدان: آداب اللغة العربية، تقويم إبراهيم صحراوي، موقع للنشر، ص 100.

2 3 2 -أوجه التجديد في الخمر عند أبي نواس

2 3 2 1 -الوحدة الفنية:

أن الوحدة الفنية في الأثر الأدبي تستقر في وحدة الموضوع وتوازن التشبيهات وتواقع المعاني. «ولقد رأينا هذه الوحدة قد انتفضت في العصر الجاهلي بتأثير البيئة والنفسية أما أبو نواس وهو ربيب العصر العباسي فقد بذلك تفكيره وتواصلت حياته، فأصبح قادرا على تناول موضوع واحد وملاحقته واستنفاذه في قصيدة واحدة» [1]

فالوحدة الفنية عنده تعين وحدة الموضوع ككل لا الأجزاء والجوانب فالشاعر لا يعبر عن مجموعة من الأفكار المتنادبة المستقلة، بعض عن البعض الأخر، بل عن قضية أو حالة. وأحيانا عن قصة تتكامل وتتوالد. ولعل قصائده التي يتولى فيها الحديث عن عبثه ومغامراته الليلية هي اشد قصائده ترابطا وأعمقها وحدة فنية. [2]

ونأخذ هذه القصيدة التي هي من أدب المنادمة عند أبي نواس يقول:

وَلَستُ بِقائِلٍ لِنَديمِ صِدقٍ وَقَد أَخَذَ النُعاسُ بِمُقلَتَيهِ

فهو يستهل قصيدته بالنفي "ولست" ويذكر انه لا يلح على رفيقه عندما يتولاه النعاس ولا يعتم يستدرك بلكن «ولكن أدير جوابا على النفي الذي استهل به سابقا (...)

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 275.

[2] المصدر نفسه، ص 275.

فالمعنى السابق لديه يولد المعنى اللاحق والقصيدة جميعا تتحدث بقصة لا نفهمها إلا في النهاية» [1] يقول أيضا:

دَقَّ مَعنى الخَمرِ حَتّى هُوَ في رَجمِ الظُنونِ
كُلَّما حاوَلَها الناظِرُ مِن طَرفِ الجُفونِ
رَجَعَ الطَرفُ حَسيراً عَن خَيالِ الزَرَجَونِ
لَم تَقُم في الوَهمِ إِلّا كَذَّبَت عَينَ اليَقينِ
فَمَتى تُدرِكُ ما لا يُتَحَرّى بِالعُيونِ

فالوحدة الفنية تقوم على الترابط العضوي حتى بين أجزاء القصيدة جميعا، حتى يتولد البيت اللاحق من البيت السابق، كما تتولد النتيجة من السبب. فكما انه لا يمكننا أن نفصل عضوا من أعضاء الجسم الحي، دون أن يموت، أو يتشوه على الأقل، كذاك القصيدة المرتبطة بوحدة فنية لا يمكن أن تسقط منها بيتا، ولا يمكن أن نعبث بنظام أبياتها، دون أن يستحيل المعنى أو يتشوه (...)، أن في القصيدة ذات الوحدة الفنية. فان البيت اللاحق ينبغي أن يكون امتداد من البيت السابق، يكمل معناه به، كما أن القصيدة تتكامل بهما وبسائر الأبيات. حتى ينشد الشاعر تجربته. [2]

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 276.

[2] المصدر نفسه، ص 278.

2 3 2 2 2 -القدرة على التشخيص

من أهم مميزات أسلوب أبي نواس انه كان ذا قدرة هائلة على تشخيص المعاني، ذلك أن عصره كان عصر البديع والتعقيد، حيث ارف الشعراء بالمقابلة بين الظواهر الخارجية والحالات الداخلية التي تعتري النفس البشرية.

فالعباسي لم يبق كالجاهلي يغشى مظهر الأشياء من دون تساءل أو تمعن، بل على العكس أصبح يقابل بين عالمي المادة والنفس، ينسب إلى الأشياء المادية تجارب منقولة عن الوجدان. ولئن انعم أصحاب البديع لهذا الأمر، فان أبو نواس الم به، وظهر في شعر أبي تمام ومسلم بن الوليد ومن إليهما.

ولعل التشخيص في شعره كان ينزع نزعة نفسية داخلية تشتمل على بعض التقليد، بينما لبث التشخيص في شعر أصحاب البديع صنعة خارجية، افتقدت فيها جدوة الإحساس. [1] يقول في إحدى قصائده:

يا خاطبَ القهوة الصّهباءِ، يا مَهُرها بالرّطلِ يأخذ منها مِلأَه ذهبـــا

قصّرْتَ بالرّاح، فاحْذَرْ أن تُسمِّعها فيحلِفَ الكرْمُ أن لا يحملَ العنبَ

إنّي بذلتُ لها، لمّا بصُرْتُ بها صاعاً من الدُّرّ والياقوتِ ما ثُقِبَا

فاسْتوحشَتْ، وبكتْ في الدّنّ قائلةً يا أُمُّ ويحكِ، أخشى النّار واللّهبَ

إلى أن يقول:

و لا الأراذلِ، إلاّ مَنْ يوقْرني من السُّقاةِ ولكن أسقني العربا

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص: 281.

يا قَهْوَةً حُرّمتْ إلاّ على رجُلٍ أَثْرَى فأتلفَ فيها المالَ والنَّشبلَ

فالخمرة في هذه الأبيات تظهر كأنها امرأة يجاورها ويخطبها ليتزوج بها ويعبث معها كما يحدد مهرها ويتحجج عليه «كما شخصت في هذه القصيدة تبدو كبشر سوي، فهي تستوحش وتبكي وتتساءل عمن يخطبها، لا شك أن في هذا القول كثير من البلاغة، إلا أن هذا التخاطب بين الشاعر والحمرة لم يسلف قبلا، ولم نكل نشهد له مثيلا في سعر سواء» [1]

ويقول أيضا:

ما زِلتُ أستلّ روحَ الدنّ في لَطَفٍ وأسْتَقي دمَهُ منْ جوْفِ مجْرُوحِ

حتى انْثَنَيْتُ ولي رُوحان في جسدٍ والدنّ منْطَرِحٌ جسْماً بلا روحِ

ابتعد الشاعر بهذين البيتين إنما ابتعاد عن روح البديع، وتوحدت ذاته في ذات الخمرة، حتى جعل يتعاطاها كان روحه تذوب في روحها. [2]

هذه النزعة الوجدانية ظهرت في كثير من القصائد حيث ربط الخمر بالنفس والتوله بها، وهذا كان من تجديد أبي نواس في المعاني والأسلوب الذي جعله يصور الأشياء ويتداولها تداولا نفسيا.

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 282.

[2] المرجع نفسه، ص 284.

2 3 2 3 الصور والمعاني الكاريكاتورية:

الصورة الكاريكاتورية في الفن تختلف عن الصورة العادية في الاختلاف بين أطرافها والتناقض في معانيها، والنشوة التي تعتريها بما يغلب عليها الزهو والاستخفاف.[1]

ولعل مثل هذه الصور أول الصور الشعرية على حقيقة تجربة الشاعر الخمرية، فالخمرة تزهي شاربها، وتفيض في نفسه بروح مستخفة يتضاءل بالنسبة إليها قدر الواقع والممكن. فتنتقل منهما إلى المستحيل دون أن تشعر بالغرابة والدهشة. [2]

يقول في احد قصائده:

فَقَد ظَفِرتِ بِصَفوِ العَيشِ غانِمَةً كَغُنمِ داوُدَ مِن أَسلابِ جالوتِ

فَاِحيَي بِريحِهِم في ظِلِّ مَكرُمَةٍ حَتّى إِذا اِرتَحَلوا عَن دارِكُم موتي

لا شك أن أبو نواس يدرك في تمالكه لروعه انه ليس ثمة تناسب بين غنيمة صاحبة الخمارة منهم وغنيمة داوود من جالوت. [3]

ومن ذلك قوله أيضا:

تقتير عينيك دليل على انك تشكو سهر البارحة

عليك وجه سيئ حاله من ليلة بت فيها صالحة

---

(1) إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 284

(2) المرجع نفسه، ص 285.

(3) المرجع نفسه، ص 285.

فهو يعتقد أن سهر الليالي في العربدة والمجون هو الصلاح، وقد خالف بذلك عرف الأخلاق بل تحداه تحديا، وهذه الصورة التي تظهر الصلاح على وجه المرءين بقايا الليل والسهر على وجه تستخفنا وتستضحكنا كالصور التي شخصه في القصيدة السابقة (...) الباخرة على وجه الإنسان الذي لا يهتدي إلى قرار والى قول يقين يرتاح إليه، فينهض ثائرا يتهزأ على غباء معتقدات الناس وتصرفهم وهكذا فان أبا نواس يلم بكثير من الصور الكاريكاتورية التي تضحك وتبكي، وذلك إذ يعبر عن استخفافه بالمنطق والعادات وسائر المظاهر التي يقرها العرف الشائع. [1]

ومن مظاهر التجديد في أسلوب أبي نواس اعتماده على الحالات النفسية في تشابيهه، فبينما كان الأخطل والأعشى يتحولان في عالم ذي حدود مادية. نرى أن أبا نواس كان يتجول في عالم المعاني والتجريد بالإضافة إلى العالم الواقعي. [2]

3 -الإسلام وزهد أبي نواس

يعد الزهد ظاهرة نقيضة لتيار اللهو وطلب المتعة والإقبال على الحياة. وقد عاش الزهد والمجون جنبا إلى جنب في هذا العصر، «كانت المدنية العباسية ككل المدنيات، ذات صفوف وألوان سهر في تهجد، وساهر في طرب، وتخمة من غنى ومسكه من إملاق، وشك ودين، وإيمان في يقين» [3]

---

[1] إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، ص 287.

[2] المرجع نفسه، ص 280.

[3] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص 18.

لقد كانت عوامل ازدهار الزهد في العصر العباسي، وأسباب انتشاره، من أبرزها الحياة السياسية وما واكب ذلك من صراعات وثورات وفتن ومنها تباين طبقات المجتمع وتناقضها بين الغنى الفاحش والفقر المدقع ومع الزهد كان ردة فعل على انتشار المجون وتأكيد التمسك بقيم الدين ومكارم الأخلاق، ومنها انتشار الثقافات الفارسية والهندية واليونانية وما تضمنته من نزعات فلسفية وصوفية ساعدت على انتشار الزهد في المجتمع العباسي. [1]

وشخصية شاعرنا معروفة بلهوها ومجونها وفسقها وخروجها عن الدين «فقد تهتك أبو نواس وبالغ في تهتكه فأنهك جسمه وشعر أن الحياة تنتقم منه وان الأجل المحتوم يقترب يومه، فضرت عنه التفاتات إلى العالم الأخر، والى حفيظة الدهر، وإذا الالتفاتات صرخة إلى عرش الرحمن وغفرانه، وزفرات من قلبه ولسانه، في رقة وعذوبة وصدق، أن الشعر ثقيل النبرات، متلهب العبارات، يسير في هدوء السفينة التي ثقل ما فيها، ويتقدم تقدم النفس التي قيدتها الأوصاب وعظمت عندها الذنوب فحطت في رحال آمالها» [2]

يقول حسن بن هانئ في هذا الشأن: [3]

دبّ فيّ السقام سُفلاً وعُــلوًا وأراني أموت عضوًا فعضوا

لهف نفسي على ليالي وأيّام تجــاوزتهــن لعبــًا ولــهوا

---

[1] سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص 19.

[2] حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 711.

[3] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص 589.

وأسأنا كل الإساءة إلى ربّنا صفحـــاً عنـــّا إلـــهي وعفوا

يصور لنا الشاعر في هذه القصيدة اقترابه ودنوه من الموت شيئا فشيئا وهو يذكر ما كان عليه حاله في الدنيا من لهو ولعب، ووقت مقضي في الإساءة إلى الله والنفس بشرب الخمر ثم يختم القصيدة بطلب العفو والغفران.

وقد انتشرت في العصر شعر الزهد، وكان أكثر اتصالا بحياة الجماهير من شعر الخمر والمجون، فإنها لم تكن تعرف ترفا ولا ما يشبه الترف، وكانت تعيش حياة دينية مستقيمة يشيع في بعض جوانبها النسك والعبادة. وإذا كان كتاب الأغاني يفيض بالمجون فان كتب الطبقات للفقهاء والمحدثين تفيض بأحبار العباد والزهاد الذين رفضوا الدنيا وشهواتها وملاذها واثروا ما يبقى وما يفنى، ممسكين أيديهم على اخذ عطاء أو مال من خليفة أو وال. ويشيع مع هذه الأخبار كثير من الأشعار التي تصور زهد هؤلاء الناسكين وانصرافهم عن متاع الدنيا الزائل والإقبال على الآخرة بالتقوى والتوكل على الله والعمل الصالح وقد تبعهم كثير من الشعراء يرددون نفس النغم حتى شعراء المجون أنفسهم فإن منهم من كان يثوب إلى نفسه فيعاف ما تردى فيه من فسق ومجون(....) على نحو ما يلقانا عن أبي نواس [1] ، مما جعل ديوانه يشتمل على مثل قوله: [2]

أَيا رُبَّ وَجهٍ في التُرابِ عَتيقِ وَيا رُبَّ حُسنٍ في التُرابِ رَقيقِ

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص180.

[2] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص: 185.

وَيا رُبَّ حَزمٍ في التُرابِ وَنَجدَةٍ وَيا رُبَّ رَأيٍ في التُرابِ وَثيق

أَرى كُلَّ حَيٍّ هالِكاً وَابنَ هالِكٍ وَذا نَسَبٍ في الهالِكينَ عَريق

فَقُل لِقَريبِ الدارِ إِنَّكَ ظاعِنٌ إِلى مَنزِلٍ نائي المَحَلِّ سَحيق

إِذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت لَهُ عَن عَدوٍّ في ثِيابِ صَديق

يذكر الشاعر في هذه الأبيات أنه لا مفر من الموت وإن كل إنسان خلق ليموت ولا يغني لنسب ولا مال فالدنيا متاع زائل والطريق إلى القبر لا بد منه ورجوع إلى الله والرجوع إلى الأصل وهو التراب الذي خلق منه الإنسان فضيلة.

ويقول أيضا في إحدى زهدياته: [1]

يا رَبِّ إِن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعاً فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلّا الرَجا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

ويقول أيضا: [2]

أَفْنَيْــتَ عُمْــرَكَ ، والذّنــوبُ تــزيــدُ والكاتبُ المحْصي عليكَ شهيدُ

[1] علي فاعور: ديوان أبي نواس، ص: 618.

[2] المصدر نفسه، ص: 212.

كمْ قُلْتَ لسْتُ بعـــــائـــدٍ في سَـــوْءَةٍ ونَذَرْتَ فيها ثمّ صرْتَ تعودُ

حتى متى لا تَرْعَـــوي عـــن لـــــذّةٍ و حِسابُها يوْمَ الحسابِ شـــديدُ

وكأنّني بك قد أتتْكَ منيّةٌ لا شَكّ أنّ سَبِيلَها موْرُودُ

والقارئ للأشعار أبي نواس يعجب لهذه الأشعار المتناقضة وله أن يسعد أبو نواس بهذا الصلاح وهذه التقوى فلم يرجع عن مجونه وفسقه ويتب إلى الله إن المجاهرة بالمجون والفسق والاستمتاع باللذات ثم الحديث عن التقوى والإيمان والخوف من الله نقيضان لا يجتمعان. [1]

فقد يميز شعره بمظهر اللهو واللعب التي عاشها الشاعر في عصره لكننا نجده يقول شعر في الزهد يهز القلوب لما فيه من قوة الإيمان وقوة التأثير التي أصابت الشاعر من جانب الدين الإسلامي، ولا تخلوا قصيدة من الألفاظ الدالة على قوة التقوى والرجوع إلى الله.

[1] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، ص 156.

خاتمة

خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلت إلى نتائج وحقائق واكتشفت شيئا جديدا في حقل الأدب واللغة هو رغم كل الثورات والاختلافات والمحاولات التي أثرت على المجتمع العربي وأرادت تغيير وضعه والتغلغل فيه ونشر سمم الطائفية والاختلاف إلى أن اللغة والدين وأصحاب العلم وتصدوا بكل قوة لهذه التيارات الزائفة.

وأن شعراء العصر العباسي العاملين تحت طائلة تجديد الأوزان والقوافي فإنهم لم يستطيعوا الخروج عن شكل القصيدة القديمة وتبقى القصيدة فنية وزن، قافية وإيقاع وموسيقى شعرية، وتبقى تعبر عن نفسية وخوالج إنسانية ومكبوتات داخلية وقضايا مختلفة

وفي الأخير بالرغم من صعوبة هذه المذكرة إلا أنها كانت مسلية أكثر من صعوبتها وأتمنى من الله أن يوفقني وإياكم إلى فعل الخير وإتباع سبيل الرشاد.

قائمة

المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **المصادر والمراجع:**

1 عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، كلية الآداب، جامعة اليرموك، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

2 ابن منظور المصري: أبو نواس، دار الجيل، بيروت ،لبنان ، دط، 1990.

3 أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط،14،1981.

4 ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار صبح، اديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 2006.

5 مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر العباسي اتجاهاته وتطوره، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1989.

6 مظاهر المجتمع ومظاهر التجديد من خلال الشعر العباسي الأول (132 هـ – 232هـ)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي القديم، إعداد مصطفى بيطام، إشراف جودت الركابي، 1406 هـ/ 1985 م، جامعة قسنطينة.

7 شوقي ضيف: سلسلة تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ج2، ط16، 2004.

8 -علي فاعور: ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423 هـ - 2002 م

9 -يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2011.

10 -أبو نواس: مجلة الهلال، دار الهلال، مصر، ج1، سنة 44.

11 -سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر.

12 -محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة البابي لهلي وأولاده، مصر، ط1، ج2.

13 -حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجل، بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م.

14 -عروة عمر: الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر، دط، 2010.

15 -مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

16 -إيليا حاوي: فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، دط ،1998.

17 -جورج غريب: شعر اللهو والخمر تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.

18 -عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الاعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج3، ط5.

19 -جورجي زيدان: آداب اللغة العربية، تقويم إبراهيم صحراوي، موقع للنشر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ- ج

الفصل الأول: خاصية الشكل عند أبي نواس..... 01

تمهيد 02

1 -تعريف المؤثر 04

2 - بين القديم والجديد 08

3 - التجديد في لغة الشعر والأوزان والقوافي 09

الفصل الثـانـي: مظاهر التقليد والتجديد عند أبي نواس 16

تمهيد 17

1 -مظاهر التقليد 18

2 -مظاهر التجديد 26

3 -الإسلام وزهد أبي نواس 44

خاتمة..... 49

قائمة المصادر والمراجع..... 51

فهرس المحتويات 55